

التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر "نماذج مختارة"

الأستاذة: نزهة درار

قسم اللغة العربية وآدابها، المركز الجامعي بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، الجزائر.

مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث

البريد الإلكتروني: imene-13@hotmail.com

الهاتف: +213-07-91-43-28-77

الاستلام	٢٠١٧/٢/١٥	المراجعة	٢٠١٧/٣/٣٠	النشر	٢٠١٧/٤/٣٠
----------	-----------	----------	-----------	-------	-----------

الملخص:

لقد حظيت القصيدة التشكيلية بأهمية كبيرة في الدراسات المعاصرة، فهي تعتمد على التشكيل البصري بمختلف آلياته: الخطوط والرسوم، عتبات النص، علامات الترقيم، تقسيم الصفحة، البياض، النبر البصري، الهوامش.... حيث انتقلت من الشفاهية إلى الثقافة المرئية، محاولة التحرر من قيود الكتابة الشعرية التقليدية. وسنحاول من خلال هذه الدراسة مقارنة هذا التشكيل البصري من خلال نماذج شعرية، وبناء على ذلك، وقفت على الظواهر الفنية التي جسدت هذا التشكيل ورصد كل أبعادها. ودلت النتائج على أن التشكيل البصري تشكل في المدونة الشعرية الجزائرية بمختلف آلياته وأبعاده.

الكلمات المفتاحية: التشكيل، البصري، الشعر، الجزائري، المعاصر.

Visual Composition in Contemporary Algerian Poetry ", " Selected Studies"

Dr. naziha derrar

Department of Arabic Language and Literature, Universal Center of BelHag Boshoaib, Algeria.
Email: imene-13@hotmail.com

Received	15/2/2017	Revised	30/3/2017	Published	30/4/2017
----------	-----------	---------	-----------	-----------	-----------

Résumé :

J'ai eu un beau poème d'une grande d'une grande importance dans les études contemporaines, elles dépendent de la composition visuelle des mécanismes différents : polices et des graphiques, le texte de seuils, de ponctuation, page fractionnement, marges de blancheur, Naber,. Des conversations à la culture visuelle, en essayant de se libérer du carcan de l'écriture poétique conventionnelle. Grâce à cette étude, que nous allons essayer d'aborder cette formation au cours de treillis optique nmadeh, par conséquent, se trouvait sur les phénomènes techniques consacrés à cette formation et le suivi de toutes les dimensions. Les résultats ont montré que figuration optique pose dans diverses dimensions blog poésie algérienne

Les mots clés: composition visuelle, la poésie, algérien contemporain.

سجل الشاعر الجزائري المعاصر حضوراً قوياً في مجال الحدائث، وخاصة في مجال التشكيل البصري، فحاولنا من خلال هذه الدراسة الكشف عن الظواهر الفنية التي جسدت هذا التشكيل، فقد وقفنا على عنصرين مهمين هما: مدخل إلى التشكيل البصري. تجليات التشكيل البصري في المدونة الجزائرية المعاصرة.

1-مدخل إلى التشكيل البصري:

لقد حظيت القصيدة التشكيلية بأهمية كبيرة في الدراسات المعاصرة، فهي تعتمد على التشكيل البصري فهو «كل ما يمنحه النص للرؤية سواء أكانت الرؤية على مستوى البصر (العين المجردة أم على مستوى البصيرة) والتشكيل بهذا المفهوم يختلف عن مفهوم الشكل الذي سبق له في سياق الدرس النقدي والأدبي معنى تقليدي يشير إلى قاب أو نمط معروف مسبقاً (...). فكان التشكيل البصري النابغ من المضامين والعائد إليها هو البديل والملاذ»⁽¹⁾.

فانتقلت القصيدة البصرية من الأداء الشفاهي على الكتابة. وتجلت في حاسة البصر والسمع، ومن هنا يكسب التشكيل «أحقية وصفة بالبصري إذ أنه من حيث إنتمائه وتضمنه وإحالاته لا يتحقق ويدرك ويتلقى إلا من خلال حالة البصر وإلى حقل الثقافة البصرية»⁽²⁾ وتعرف بأنها «منظومة من الرموز والأشكال والعلاقات والمضامين والتشكيلات التي تحمل خيرات ورصيد الشعوب وتتصف بسماحتها وه نامية ومتجددة وذاتية، ديناميكية»⁽³⁾، وبناء على هذا السياق لا يمكن إغفال مجالات الدرس في حقل الثقافة البصرية التي «تدور حول البحث الفلسفي في استيمولوجيا المشاهدة وسيميوطيقية الصور والعلاقات البصرية وحول البعد السيكلوجي للمجال البصري وسيضم هذا فضاءات ذات بعد ظاهري وعضوي ومعرفي تتعلق بالتفاعل الإبصاري»⁽⁴⁾، وهي «درس اجتماعي عن صيغ العرض والتفريغ البصري وأنترولوجيا المشاهدة»⁽⁵⁾. وتهدف هذه الثقافة إلى تجسيد الإدراك الحسي للعالم لا إلى خلق التصورات عنه، من خلال دعوة المتلقي إلى التبصر في المعطى البصري للنص في عياب، المحفزات لتصور غير بصري⁽⁶⁾.

وفي هذا السياق لا بد أن نشير إلى الفرق بين ثقافة الأذن والعين، فتقافة السمع ثقافة سلطة، ثقافة الوثوقية والتقليد، أما ثقافة البصر فهي شاسعة، نقدية⁽⁷⁾ ويمكن اعتبارها ثقافة المكان، ويتفق مع هذا القول عبد السلام بن عبد العالي بقوله «أن ثقافة الأذن هي ثقافة السمع والمحافظة، إنها ثقافة الوثوقية والتقليد، ثقافة الأذن على الدوام ثقافة سلطة، أما العين فلما لها من قوة قلب على شبكيها ولما لها من قدرة على تعديد منظوراتها وزوايا نظرها تجعل الثقافة التي تعتمد عليها ثقافة نقدية»⁽⁸⁾ وقد ميزت الثقافة البصرية لقراء الشعر «بين المخيلة المقيدة والمخيلة الحرة: فالأولى محيلة سماعية عضلية تثور بالضرورة حتى لو كان الإنسان يقرأ لنفسه وهي واحدة تقريباً لدى كل القراء والأكفاء، والثانية بصرية تتنوع بين شخص وآخر أو بين نمط ونمط»⁽⁹⁾.

وبالتالي فالثقافة البصرية هي المحفز الرئيسي للتشكيل البصري في الشعر العربي الحديث وبدوره يساير واقع الحياة المعاصرة التي تهتم بجانب المادة والمدرجات الحسية مما يجعله يختلف من نص إلى آخر حسب مضمون النص⁽¹⁰⁾، وهذا ما يؤكد أن التشكيل في القصيدة يختلف حسب حالة النص.

وبناء على ما تقدم فالتشكيل البصري مركب من: «خط ولون وكتابة وفضاء أو ما ينشأ عن ذلك من علاقات مركبة، تناغما وإيقاعاً وتضاداً وانسجاماً»⁽¹¹⁾، فقد نهل التشكيل البصري من فلسفة الفن التشكيلي «الرسام والشاعر على درجة التقارب والإلتصاق»⁽¹²⁾، وكما قيل: «إن العمل الفني المثمر حقا هو ذلك الذي يحتاج إلى مئة عمل من جنس أدبي آخر والعمل الذي يضم مجموعة مختارة من الرسوم هو نواة مئة قصيدة»⁽¹³⁾، وقد ساهمت هذه المبادئ في مد النص الشعري الحديث بمحفزات ومقويات⁽¹⁴⁾.

2- أبعاد التشكيل البصري في القصائد النمودج:

انتقلت القصيدة البصرية من الأداء الشفهي إلى الثقافة المرئية محاولة التحرر من قيود الكتابة الشعرية التقليدية، وقد تجلت في الظواهر الفنية التي جسدت هذا التشكيل من خلال قصيدة القفص للمؤرخ والشاعر "أبو القاسم سعد الله" من ديوان الزمن الأخضر، وقصيدة آه يا وطن الأوطان للشاعري "وسف وغليسي" من ديوان أوجاع الصفصافة في مواسم الإعصار وهي كالآتي:

1- الرسم بالخط: ويتمثل في:

-مد الحروف: وهو « تسجيل المد الحاصل في الصوت»⁽¹⁵⁾، ومن الأمثلة في قول "أبو القاسم سعد الله" في قصيدة القفص:

خدعتني!
 وعدتني أشياء كالخيال.
 وعدتني جواهر السلطان
 وتمهره لأئى السلطان
 تمهزه جراحي الكثار
 ويركب الأخطار!

.....

خدعتني!
 وعدتني حريتي⁽¹⁶⁾
 فلم أجد سوى قفص!

الامتداد بالألف في كلمة خيال، السلطان، الكثار، الأخطار، توجي إلى مدة الانتظار، فكأننا نتخيل الشاعر وهو ينتظر تحقيق هذا الوعد، أما الامتداد بالنون في كلمة خدعتني، وعدتني فهي توجي إلى الأسى والحزن وهي دلالة على عدم الوفاء للوعد. -التوفية: المتأمل في هذه المقطع الشعري وجود حروف منحنية، متموجة، سواء بالحرف أو باللون (حرف الفاء، الطاء، النون، الألف، التاء...)، شكلت دلالة بصرية « الحرف إذ يتحول إلى خط يدخل في لا نهاية المكان: ينحني، يتموج، يتشابك، يتقابل، يتدور، يندسط، يلبس الحركة في جميع أبعادها ويختزن جميع الإشارات كل مبدع في هذا المنظور سواء بالكلمة أو بالخط أو باللون»⁽¹⁷⁾، يقول⁽¹⁸⁾:

فقد حشد شاعرنا هذه الحروف بهذا السمك والكثرة فهي سمة بصرية تدل على قوة المعنى وإثراء الدلالة.

2-علامات الترقيم:

أو علامات الوقف فهي توضع معني الجمل بفصل بعضها عن بعض وتضم النقطة، الفاصلة، علامة الإستفهام، علامة الإنفعال، نقطتا التفسير، نقطة الحذف، نقطة التوتر، و«تمكن القارئ من الوقوف عند بعض المحطات والتزود بالنفس (...)، لمواصلة عملية القراءة»⁽²²⁾ ومثال ذلك نذكر:

● نقطة الحذف: وهي ثلاثة نقاط ، يقول "أبو القاسم سعد الله":

إلى أين نسير؟
لقد بعدنا عن الكوخ
كوحنا المسكين
الذي جرفه السيل
ونحن نأكل...⁽²³⁾

إلى أن يقول:

أختاه إلى أين نسير؟
في الظلام
قفي...حدثيني⁽²⁴⁾

● نقطة التوتر: وهي نقطتان لا أكثر، وتمثلت في قصيدة قالت وقلت "لأبو القاسم سعد الله": يقول:

جسي يدوب
كالقطة البلهاء تحتك في لغوب..
والدمع يحرقه النجيب..
جسدي يدوب..
وكرهت هاتيك القلوب
ظلم وإرهاق وجوب..
حتى.. وحتى يكذوب
..تأتي خطيب
قالت: أنا لست أنا..
قالت: ذوي!..⁽²⁵⁾

كما تجسدت في ديوان "الأخضر بركة" في قصيدة الريح:

من آلات موسيقية تنفسها..⁽²⁶⁾

● الفاصلة: يقول أيضا في نفس القصيدة:

الريح معمارية الهديان،
أمشاط لعذراوات غابات البداية، ربما،
تهيدة النهدين في حمة احتكاك البحر بالشرفات،
فرشاة لأسنان الطبيعة،

رقصة الدفلى على إيقاع صوت الذئب في الوديان،⁽²⁷⁾

• علامة الانفعال: يقول "سعد الله":

كفاح إلى النهاية
باسم أهداف الكفاح
سوف لا ألقى السلاح!
هذه أرضي نداء
صارخا في: تقدم!
سوف يتلوها العناق!
يا رفاقي
إنني شمت عتاقني
في زئير الثأر.. في عصف السلاح!⁽²⁸⁾

وتجسدت كذلك في قصيدة الصخرة:

أي إصرار وبأس!
أي درس!
توج المستقبل الحر وعفى قبر أمس
وأزاح الغيم عن آفاق شعبي
أي درس!⁽²⁹⁾

ويقول في قصيدة المجاهدون:

يا أصدقاء!
تقول الشمس إنكم رواد
حفرتم الضياء
على الصخور والجباه
وأنكم مزقتم الضباب
لتزحف الأجيال!
.....
يا أصدقاء!
لكم يا أصدقاء!⁽³⁰⁾

• النقطة: يقول الشاعر في قصيدة آه يا وطن الأوطان:

آه يا وطن الأوطان!...⁽³¹⁾

النقطتان:

قالت وقلت
قالت: عجيب
أنسيت ماضيك الرهيب

أيام كنت تريدني
في حضنك القاسي الشبوب
جسي يذوب
قلت: اصفحي
قالت:غرب⁽³²⁾

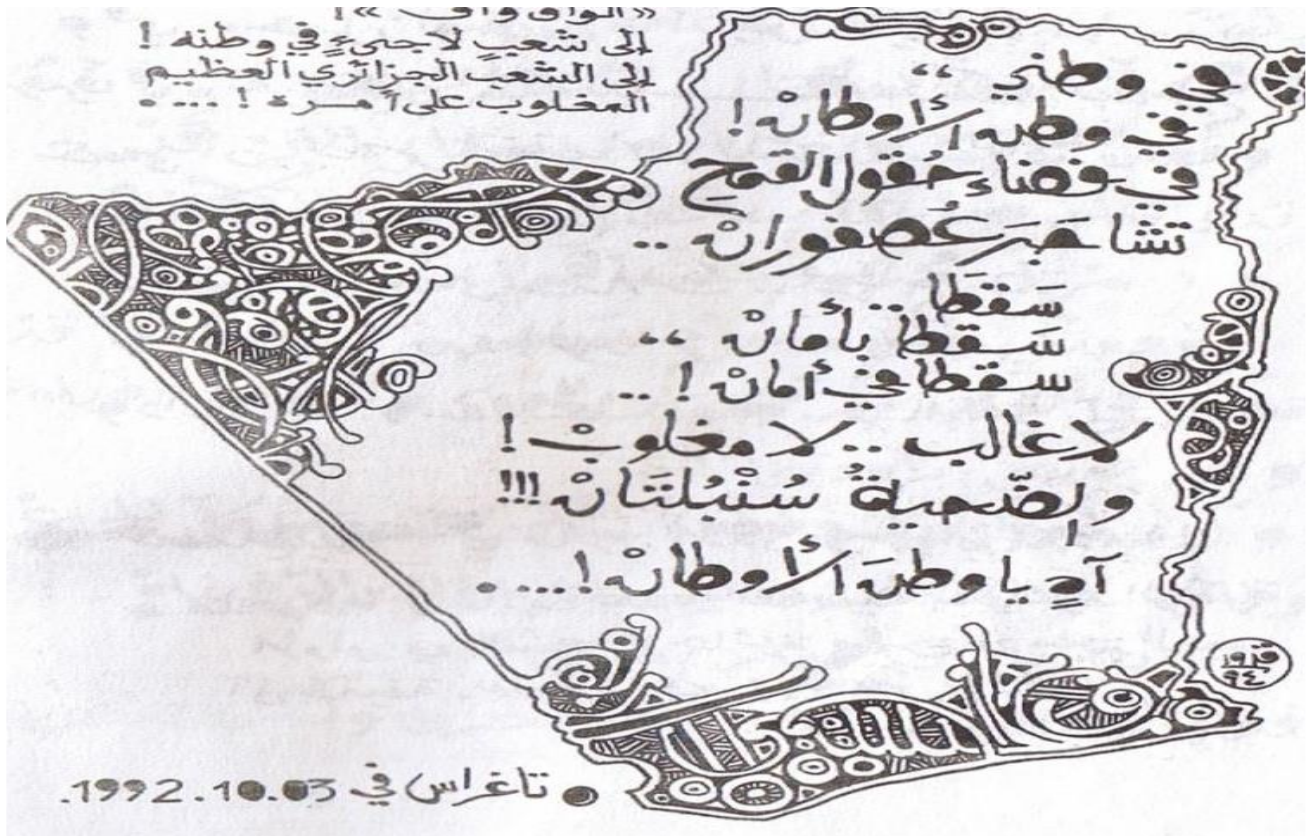
علامة الإستفهام: يقول الأخضر بركة:

كلما ثقلت بالمفاتيح أزيمة
صدأ القفل في الباب يسأل ما الفائدة؟
علامات التنصيص: ومثال ذلك في ديوان الزمن الأخضر لأبو القاسم سعد الله:
برقية من الجبل
إلى العنوان التائه المسحور:
«برقية من الجبل»
أضوائها العريقة القدم
وتمتت:
«استشهد الصديق، محمد، بطلقة صماء
إذ كان في اشتباك
رفاقه على الجبل»⁽³³⁾

وبهذا فقد تشكلت عدة دلالات ناتجة عن التشكيل البصري، مما أضفت على النص قوة ووضوحا، وخاصة نقاط الحذف التي شكلت الفجوات وقد عمد الشعراء ذلك بإدراج المتلقي في استنطاق النص.

3-الرسم الهندسي:

فقد سبق مما تقدم أن ذكرنا أن الشعراء والرسامين على درجة التقارب والالتصاق، والشكل الهندسي علامة بصرية لافتة تضيف على النص دلالة ومعنى فهي «تحقق المتعة الجمالية»³⁴، فقد سجلت حضورا في شعرنا الجزائري المعاصر، فرسم عند يوسف وغليسي في قصيدته أه يا وطن الأوطان خريطة الجزائر منحرفة، كتب في النص الشعري والإهداء «إلى شعب يستوطن بلاد»الواق واق»، إلى شعب لاجئ في وطنه، إلى الشعب الجزائري العظيم، المغلوب على أمره»، وكأنها لوحة فنية، أضاف عليها النص الزمان والمكان، فجسدت هذه الخريطة الأصالة والاستمرارية، فخريطة الجزائر تعني لنا الوطن الأم، يقول⁽³⁵⁾:



4-التناص البصري:

استعمل شاعرنا "يوسف وجليبي" التناص البصري من خلال الشكل البصري لصفحات الكتب والوثائق الجغرافية. كما استعمله الأخضر بركة في ديوانه لا أحد يربي الريح في الأقفاس: ومثال ذلك⁽³⁶⁾:



كما كتب عنوان قصيدته كفاية بطريقة الرسامين⁽³⁷⁾:



والقارئ لديوان شاعرنا سيلاحظ الكثير من هذه الرسومات وكأنه يريد أن يلفت انتباه القارئ لعناوين قصائده.
5-البياض: أو الفجوات أو الفراغ فهو ليس عملا مفروضا على النص من الخارج بل مظهر من مظاهر الإبداعية وسبب وجود النص « البياض ليس ضرورة مادية مفروضة حتما على القصيدة من الخارج، بل هو في الحقيقة شرط وجوده القصيدة، شرط حياتها تنفسها، إن البيت سطر يتوقف لأنه وصل إلى حد مادي أو لأن الفضاء ينقصه ولكن لأن مهمته قد انتهت وقوته قد استهلكت»⁽³⁸⁾

فإن الشعر العربي الحديث قد أفاد من البياض والفراغ في القصيدة، فهو يدرك المكان النصي ببياضه ويحيل إلى كتابة أخرى « إدخال بياض الصفحة في بنية النص لتسجيل سمة من سمات الأداء الشفهي، أو تجسيد دلالة الفعل بصريا»⁽³⁹⁾، ومن تقنية البياض نجد:

• السطور المتساوية: وتتمحور حول:

أ-تساوي إفتتاحي: ويعتمد على البنية التركيبية والإيقاعية للنص، مشكلة بذلك التشكيل البصري من خلال الأسطر المتكررة:

خدعتني!

وعدتني أشياء كالخيال

وعدتني جواهر السلطان

وكنت أنت القفص

وكان صوتك الجريح لا يبين

وكنت عاشقا متيم الخيال

تهره لألى السلطان

تهزه جراحي الكثار

يغادر عني من غريب الدار

ويركب الأخطار!

.....

خدعتني!

وعدتني حريتي

فلم أجد سوى قفص!⁽⁴⁰⁾

ويقول في قصيدة لغتي:

لغتي

لغتي لغتي

لغة الوطن

...

بدمي بدمي

أفديها والبدن

...

لغتي لغتي

لغة الجدود...⁴¹

يقول "الأخضر بركة":

الريح فوق الرمل تكتب ثم تمحو،
الريح فوق الماء تسكر ثم يصحو،
الريح امرأة تزغرد في تلايبب المكان
الريح أرض ليس يحرثها سوى المخيال⁽⁴²⁾

ب-تساوي ضمني: فهي تساوي الأسطر ضمن النص الشعري من غير أن يحمل وظيفة التكرار:
يقول "أبو القاسم سعد الله" في قصيدة عهد:

إن أرضي عاهدات لا تهون
عاهدات أرضي وأرضي لا تخون
عاهدات ألا تلاقي الغاصبين
بسوي الرشاش والموت المهين⁽⁴³⁾

بالإضافة إلى الصراع بين السواد والبياض، فقد عمد "أبو القاسم سعد الله" إلى الفراغ من أجل التعبير عن سلب حرته وعيشه في قفص، وهذا يمثل ظاهرة بصرية لافتة تتفاعل مع البناء الكلي للقصيدة، كما تحيلنا إلى ترك الفراغ للقارئ لاستكمالها، يقول:

خدعتني!
وعدتني أشياء كالخيال
وعدتني جواهر السلطان
وكنت أنت القفص
وكان صوتك الجريح لا يبين
وكنت عاشقا متيم الخيال
تهره لألى السلطان
تهزه جراحي الكثار
يغادر عني من غريب الدار
ويركب الأخطار!

.....

خدعتني!
وعدتني حريقي
فلم أجد سوى قفص!⁽⁴⁴⁾

فقد شكلت نقاط التتابع نغمة موسيقية مليئة بالحزن والألم، وضمف على ذلك الكلمات الضدية: الحرية تقابلها كلمة القفص، مشكلة التشكيل البصري.

كما عمد "الأخضر بركة" إلى ظاهرة البياض الكثيفة في ديوانه ونموذج ذلك:

برتقال برتقال
أخضر الأنفاس ينمو
مثقلا بالغبطة المملأى بماء الفجر، ينمو

لكأن النسغ كيمياء الخيال

...

كلما مسته أقطار أضواء الشجر المحني، مشغولا بميزاق الذوق

مستحما بالندى يرنو إلى حياته تحمر في شمس العناق⁴⁵

...

قصارى القول؛ يمكن أن نخرج باستنتاجات من خلال ما تقدم، وهي كالاتي:

- انتقال القصيدة التشكيلية من الشفاهية إلى الكتابة.
- تجسد التشكيل البصري في المدونة الشعرية الجزائرية المعاصرة بمختلف أبعاده وآلياته.
- كان للشعر الجزائري المعاصر حصورا قويا في الدراسات النقدية المعاصرة، واستطاع أن يتحرر من قيود الكتابة التقليدية.
- مواكبة الشعراء الجزائريون الحضارة المعاصرة.

الهوامش:

- (1)- محمد الصفراني، 2007، فضاءات التشكيل والشكل، الرياض، جريدة الرياض، ع14276.
- (2)- المرجع نفسه
- (3)- المرجع السابق
- (4)- محمد الصفراني، فضاءات التشكيل والشكل، ع 14276، وللتوسع ينظر: عبد الله الغدامي، 2004، الثقافة التلفزيونية، ط1، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، ص14
- (5)- محمد الصفراني، فضاءات التشكيل والشكل، ع 14276
- (6)- ينظر: المرجع نفسه
- (7)- ينظر: المرجع السابق
- (8)- عبد السلام بن عبد العالي، ثقافة العين وثقافة الأذن، ط1، دار توبقال للنشر والتوزيع، ص08
- (9)- محمد الصفراني، فضاءات التشكيل والشكل، ع 14276
- (10)- ينظر: المرجع نفسه
- (11)- محمد أبو رزيق، 2003، النص التشكيلي بين اللغة البصرية والتأويل، المشاركة، مجلة الصورة، ع2، دائرة الثقافة والإعلام الشارقة، ص126
- (12)- كلود عبيد، 2001، جمالية الصورة، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ص09
- (13)- المرجع نفسه، ص146
- (14)- ينظر: محمد الصفراني، فضاءات التشكيل والشكل، ع14276
- (15)- محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، ص 110
- (16)- أبو القاسم سعد الله، 2011، الزمن الأخضر، الجزائر، عالم المعرفة، ص 365
- (17)- أدونيس، 2003، الصوفية والسريالية، بيروت، لبنان، دار الساقي، ص203
- (18)- يوسف وغليسي، 1995، أوجاع الصفاة في مواسم الإعصار، ط1، الجزائر، رابطة إبداع، ص 80، وينظر: زهير بولفلوس، 2015، التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر، جامعة سمراء مجلة سر من رأي، ع40، م11، ص216
- (19)- محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص 193
- (20)- محمد الماكري، 1991، الشكل والخطاب "مدخل لتحليل ظاهراتي"، ط1، بيروت، المركز الثقافي العربي، ص(237-236)

- (21)- يوسف و غليسي، أوجاع الصفصافة في مواسم الإعصار، ص 80، وينظر: زهير بولفلوس، التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر، ص 216
- (22)- عمر لوكان، 2002، دلائل الإملاء وأسرار الترقيم، ط1، طرابلس، إفريقيا الشرق، ص 105
- (23)- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 107
- (24)- المصدر نفسه، ص 108
- (25)- المصدر نفسه، ص (95-97)
- (26)- الأخضر بركة، 2016، لا أحد يربي الريح في الأقفاس، سطيف، منشورات الوطن، ص 9
- (27)- المصدر نفسه، ص 5
- (28)- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 80
- (29)- المصدر نفسه، ص 365
- (30)- المصدر السابق، ص (307-308)
- (31)- المصدر نفسه، ص 80
- (32)- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص (95-96)
- (33)- المصدر نفسه، ص (239-240)
- (34)- محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص 38
- (35)- يوسف و غليسي، أوجاع الصفصافة في مواسم الإعصار، ص 80، وينظر: زهير بولفلوس، التشكيل البصري في الشعر الجزائري المعاصر، ص 216
- (36)- الأخضر بركة، لا أحد يربي الريح في الأقفاس، ص (127)
- (37)- المصدر نفسه، ص 143
- (38)- محمد الماكري، الشكل والخطاب "مدخل لتحليل ظاهراتي"، ص 239
- (39)- محمد الصفراني، التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث، ص 161
- (40)- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 365
- (41)- المصدر نفسه، ص 163
- (42)- الأخضر بركة، لا أحد يربي الريح في الأقفاس، ص (6-7)
- (43)- أبو القاسم سعد الله، الزمن الأخضر، ص 373
- (44)- المصدر نفسه، ص 365
- (45)- الأخضر بركة، لا أحد يربي الريح في الأقفاس، ص 41